

وامله يأتي يوم يسعدنا الحظ فيه بالاطلاع على هذا الجواب

مقالة ثانية

✧ في تاريخ الموارنة في القرن السابع ✧

الفصل الاول

✧ في حالة الموارنة الدنيوية في هذا القرن ✧

✧ عدد ٦ ✧

✧ في سطوة المردة اي الموارنة في هذا القرن ✧

ذكرنا في تاريخ الموارنة في القرنين الخامس والسادس القديس مارون وتلاميذه وتكاثر رهبانهم واديارهم وتوافر الجمهور المنعني اليهم والمسحى باسمهم ونذكر في هذا المدد طورهم الدنيوي في هذا القرن وذلك درس نلقيه الى ابناء ملتنا وجميع مواطنينا نحذرهم به من التهور في مهواة المناواة لاسلطة السائدة فيهم بوسوسة اصحاب الاغراض البعيدين عنهم فن المعلوم ان الخلفاء الراشدين صرفوا اهتمامهم عند اخذهم سورية وطردهم ملوك الروم منها الى فتح مدنها ولم يكثرثوا لسكان جبالها لقللة اهميتها وعدم المنفعة منها ولنفسر مسالكها وان ملوك الروم ما انقطعت مطامعهم في استردادها وظلوا يوسوسون لسكانها ليلبكو امرها ولا تستقيم حالها ليقسر لهم العود اليها كما حاولوا صرات فلم يظنروا فن ذلك انهم وسوسوا للموارنة وكانت مساكنهم حينئذ في الجبال من جبال الجليل الى جبال

انطاكية فلبكوا حكومتهم وتوافرت غزواتهم في السهول حتى اضطروا بعض الخلفاء ان يعقد صلحاً مع ملوك الروم على شرائط سيأتي ذكرها ومنها ان يكتبوا الموارنة الذين تلقبوا عندئذٍ صردة ويصدوهم عن غزواتهم وكانت النتيجة حينئذٍ ان هولاء الملوك البيزنطيين انفسهم الذين وسوسوا للموارنة وهيجوهم على مخالفة رضى حكومتهم اقبلوا على المردة واذافوهم الاصريين ومكروا بهم فسبوا اثني عشر الفا من نخبة شبانهم وابعدوهم عن اوطانهم وجيشوا عليهم واخربوا اكثر بلادهم وحرقوا اديارهم وعمدوا الى القبض على بطريركهم واتصلوا الى اطرابلس على مقربة منه ولو لم يتدارك الله امرهم بالنصر على الجيش البيزنطي لآبادوهم عن اخرهم فهذه هي الامثلة التي تريد ان تمثل بها ابناء ملتنا ومواطنونا ليخلصوا في الطاعة للحكومة السائدة عليهم واليك تفصيل هذه الاحداث

قد روى كثيرون من علماء امنا انه كان للموارنة في القرن السابع سطوة وصوله حتى ضبطوا كل ما كان من انطاكية الى اطراف الجليل على انا نوثر ان زوي اخبار هذه الاحداث عن كتب المؤرخين القدماء التي اخذ علماءنا عنها هذه الاخبار لانها ابدت مجالاً عن مظنة الغرض والفلو والتمصب لامتهم قال توفان المؤرخ الشهير (في تاريخ السنة التاسعة لملك قسطنطين اللحياني) « في هذه السنة خرج المردة من لبنان (١) فضبطوا كل ما كان من الجبل الاسود (المعروف اليوم بالجبل الاقرع فوق السويدية) الى المدينة المقدسة (اورشليم) واستحوذوا على قم لبنان وانضم اليهم كثيرون من العبيد والاسرى والوطنيين حتى اصبح عددهم في مدة وجيزة لوفاً كثيرة وسمع معاوية واصحاب مشورته بذلك فخشوا جداً من عاقبته حتى فكروا بان الله محامٍ عن مملكة الرومانيين وارسلوا وفداً الى

(١) قال العالم يعقوب كوار محشى تاريخ توفان في حاشية علقها على هذا المحل ان

ابراهيم الحاقلي الماروني يتفاخر بانه لبناني ومن نسل هولاء المردة

قسطنطين الملك يطلبون الصلح ويمدون بوفاء جزية كل سنة فتقبل الملك وفدهم بالاعزاز والكرامات واجابهم الى سؤلهم واوفد معهم الى سورية البطريق يوحنا المسمى بتسيكود وكان من رجال الندوة في حكومته ومتصفاً بالخبرة والحكمة وبحسن التعاطي للمداولة مع العرب ليتفق معهم على شرائط الصلح واما بلغ سورية قابله معاوية بالترحاب وعقد ديوان مشورته وبعد المداولة بشروط الصلح قرأ عليهم على كتابة عهده موثقة باليمين على ان يدفع العرب كل سنة الى الرومانيين ثلاثة الاف ذهب وثمانية الاف اسير وخمسين جواداً من الخيل الحيات واربم الصلح بين الرومانيين والعرب على هذه الشروط الى ثلاثين سنة ودونت العهدة ووقع على نسختين منها اكل فريق نسخة وعاد ذلك الرجل الشهير البطريق يوحنا المتوار ذكره الى الملك بهدايا نفيسة جداً « وقال توفان ايضاً في تاريخ السنة الاولى لعبد الملك بن مروان « في هذه السنة حدثت مجاعة شديدة وطاعون في سورية وولى عبد الملك في امته وتوالت غارات المردة في جوار لبنان وتقلت وطأة الطاعون فطلب عبد الملك تجديد عهدة الصلح التي كانت قد ابرمت في ايام معاوية وارسل وفوداً الى الملك واعدت ان يدفع كل سنة ثلث مئة وخمسة وستين ديناراً وكذلك من العميد وايس بافل من ذلك من الخيل الحيات « (١) وقال في تاريخ السنة الاولى ليوستينيانس الملك « في هذه السنة ارسل عبد الملك رسلاً الى الملك لابران عهدة الصلح فعقد الصلح على الشروط الآتية وهي ان الملك يمنع غارات عسكر المردة من لبنان ويصد غزواتهم وعبد الملك يدفع اليه في كل يوم الف دينار وقرساً ومملوكاً وان الملاكين يقتسمان بينهما خراج قبرس وارمينيا وايباريا قسمة عادلة سوية

(١) قد لاحظ محشي تاريخ توفان المذكور ان عدد ثمانية الالاف اسيراً في الفقرة الاولى كثير جداً وعدد الثمانية والخمسة والستين ديناراً في هذه الفقرة قليل جداً فلا بد من غلط من النساخ في ذكر هذه الاعداد وسترى ان المؤلف يخالف في ذلك الفقرة الثانية

وارسل الملك بولس ماجيستريانس الى عبد الملك لابرام عهدة الصلح فكتب
صكها ووقع عليه امام الشهود وعاد ماجيستريانس مكرماً الى الملك وبرز الملك
امراً بإبعاد اثني عشر الفاً من المردة عن اوطانهم وقد اضعف بذلك قوة المملكة
الرومانية لان جميع المدن المجاورة لبنان من المصيصة الى ارمينيا الرابعة كانت ضعيفة
وكانت خالية من السكان بسبب غارات المردة الذين كبتهم الملك وقد توات من
ذلك اليوم الى الان الحن والمصائب في المملكة الرومانية بسبب سطو العرب
وقال في تاريخ السنة الثانية ليوستيانس « ان الملك مضى في هذه السنة الى ارمينيا
فقابل هناك عسكر المردة الذي كان قبلاً في لبنان بمنزلة سور نحاسي لمملكته فدكه
بيده » وقال في تاريخ السنة الخامسة للملك المذكور « في هذه السنة تنقض الملك
يوستيانس لطيشه عهدة الصلح المبرمة مع عبد الملك » وذكر ما روينا في الكلام
على عبد الملك من امره بنقل سكان تهرس وتمته في قبول الدائير الحديثة التي صكها
عبد الملك الى ان قال ما ملخصه « ولما بلغ ذلك عبد الملك ارسل يسأل يوستيانس
ان لا ينقض العهدة المبرمة بينهما فظن يوستيانس ان عبد الملك يخاف سطوته ولم
ينتبه الى ان العرب يطالبون بعد كبت المردة علة لتنقض عهدة الصلح فكتب
يوستيانس اليهم انه لا يريد العمل بالشرط المتفق عليها فاجابوه هم لهم متشبهون
بها وانه اذا نقضها وارغمهم على الحرب فيكون هو علة لتنقضها والتقى جيش
الملك وجيش العرب في الكبدوك فارسلوا يسألونه ان لا يخالف العهد الوثيق
المبرم بينهما باليمين والا فينتقم الله من المخالف فاعارهم اذناً صماء واقحم جيشهم
فملقوا الصحيفة المكتوبة عليها عهدة الصلح على رمح بمنزلة راية لهم فدارت
الدوائر على يوستيانس وجيشه « كما رايت قبلاً فهذا ما ترجمناه بما امكن من
الدقة عن تاريخ توفان

واليك ما قاله شدرانس في موجز تاريخه « في الستين الثامنة والتاسعة

الرومانيين بل على شعبه المختار الحديث وساله العرب بالحاح ان لا ينتقض العهد ويخالف صكه الموثق باليمين بالله وهو ينتقم لمن يتسبب بشبوب نار الحرب فصم اذنيه عن سماعهم واقدم على الحرب فعاق العرب صفيحة العهد على رايتهم والحواء القتال فانحاز عشرون الفا من اوائك المسمين بالشعب المختار الى العرب فتغلبوا على الرومانيين وتبعوا اثارهم وقتلوا منهم كثيرين وفر الملك بنفر قليل مدحورا وامر بقتل من بقي من اوائك الجنود والقاء جثثهم في البحر وعاد الى بزنطية خجلاً . وروى ذلك ايضاً انسطاس المكثي في تاريخ السنين الاولى والسابعة والثامنة ليوستينانس وروى الاهدني ان بواس الشماس قال ما قاله هولاء وذكر مقاله فاذا هو مطابق لما رويناه ولم نعثر على كتابه لكن الاهدني ثقة في كل ما نقل بل اشار ابن خلدون الى ذلك (جزء ٣ صفحة ٧٠) اذ قال « اشتد القتال ايام عبد الملك واجتمعت الروم واستجاشوا على اهل الشام فصالح عبد الملك صاحب قسطنطينية على ان يؤدي اليه كل يوم جمعة الف دينار خشية منه على المسلمين » وذكر ذلك ابن العبري ايضاً في تاريخ الدول (صفحة ١٩٤ من طبعة بيروت) فقال استجاش يوستينانس ملك الروم على من بالشام من المسلمين فصالحهم عبد الملك على ان يؤدي اليه كل يوم جمعة الف دينار وقيل كل يوم الف دينار وفرساً ومملوكاً » هذا ما ذكره هولاء المؤرخون القدماء وقد تابعهم عليه كثيرون من الحداء منهم بارونيوس امام المؤرخين في تاريخ السنين المذكورة وديلارد في موجز تاريخ الملك السافل في كلامه على قسطنطين الاحياني ويوستينانس الاخرم ونطائيس اسكندر في كلامه عليهما في تاريخ القرن السابع وروهرينجر في الكتاب الخمسين من تاريخه العام وكثيرون غيرهم

* عد ٧ *

* في ان هؤلاء المردة كانوا موارنة *

ان سطوات الموارنة المار ذكرها وحرهم مع عساكر يوستيانس التي سنروي اخبارها اكسبتهم لقب سرده الذي سماهم به المؤرخون القدماء المذكورون وهذا مما لا يتري فيه عالم بالتاريخ او مطالع لاقوال المؤرخين التي رويها مترجمة بحروفها اذ صرحوا بان المردة سكان لبنان وخرجوا من لبنان فاستحوذوا على ما جاوره وضبطوا مشارف واعالي لبنان الى غير ذلك مما يدل صراحة على ان هؤلاء المردة انما هم الموارنة سكان لبنان وجواره والا فمن اين اتى هذا الشعب الغنبر الباسل الى لبنان ومتى هاجر اليه ولم لا نرى في كتب المؤرخين القدماء والحدثاء خطة تشير الى مهاجرة شعب اوطانه وتوطنه في لبنان وجواره مكان او تلك المسيحين المتيمين الى القديس مارون ورهبانه او تبنينا بان احد الملوك جلا شعباً غفيراً فاحله في لبنان وتقلب على سكانه الاصليين على ان الحدثاء من المؤرخين ولا سيما من ذكرناهم انفا وهم بارونيوس وديلارو ونطاليس اسكندر وروهر بنجر يسمون هؤلاء المردة الموارنة ويصرحون بانهم انما لقبوا سرده لتمردهم على الحكومات المار ذكرها ومحاربتهم عساكر يوستيانس الاخرم وتقتصر من اراد اقوالهم على ذكر قول ديلارو في كلامه على قسطنطين اللحياني قال « ان الامة المارونية اشبه بالمواد الخفيفة فلم يكن لتيار القبائل التي غشت سورية ان يفرقها وما برحت كذلك الى اليوم ومساكنها لبنان العسر المساك واهلها شديدو الحرص على دينهم وشرفهم وكانوا جنوداً كماء يحسنون الرمي وتفريق السهام وفرسانهم احسن الفرسان ورجالهم اشجع رجال المشرق وقد اخذوا (في ايام قسطنطين اللحياني) يشنون الغارات على الاعمال المجاورة لهم واستحوذوا على قسم كبير من سورية وانزلوا الرعب بالسكان من جهة الى اورشليم ومن اخرى

الى دمشق وتمخوم بلاد العرب وكانت لهم اعالي لبنان قلاعاً حصينة وابتدوا فيها مدناً كبيرة فوجس معاوية من غزواتهم وغاراتهم « الى اخر كلامه الا ان هذه الغارات والسطوات التي كان ملوك الروم يحملونهم عليها كانت عليهم وبالاً بمكر هولاء الملوك كما رايت فان يوستينانس الاخرم ابعث اثني عشر الفاً من نخبة رجالهم وستى تفصيل ذلك في العدد التالي وترى في ما يليه انفاذ جيشه اليهم وحرق اديارهم وتدمير قسم كبير من بلادهم

هذا ما سطرته في تاريخ سورية ولكن ظهر في احدى المجلات العلمية سنة ١٩٠٢ فصل لاحد العلماء اهتم كاتبه ان يجعل هذه المسئلة محلاً للريب وجل ما قاله انه يتعجب من ظهور المردة من اول امرهم جاثمين فوق مشارف لبنان ضابطين مضائقه ثم خرجوا منه بغتة دون ان يبقى لهم اثر واسند زعمه هذا الى قول بعض المؤرخين ان المردة دخلوا الى لبنان ونتج أنهم لم يكونوا من سكانه الموارنة واورد اراء مختلفة في اصل المردة بين ان كانوا من اسيا الصغرى او من بلاد العرب او الارمن او الكلدان وقال أنهم بعد خروجهم من لبنان توطنوا في بلاد الارمن او جوار اضااليا وكان لهم نظام مخصوص وولاة على حدة

فاجبته على ذلك في المجلة المذكورة مبيناً بطلان ما ادعم عليه في بحه ومثبتاً ان ليس المردة الاسم للموارنة في القرن السابع وصفوا به لتمردهم وان تعجبه من ظهورهم بغتة في لبنان وخروجهم منه دون ان يتركوا فيه اثراً يزول قطعاً اذا نظر في الامر على بساطته اي ان المردة هم الموارنة وكانوا يسكنون لبنان وما جاوره شمالاً وجنوباً وعند ثورتهم تحصنوا به وجعلوه مركزاً لغزواتهم واثارهم به باقية الى الان ثم اوردت لاثبات هذه الحقيقة عدة براهين الاول ماخوذ عن التقليد العام والثابت عند الموارنة والحل انه كل بلاد وعند كل امة يعتمد في تواريخها على تقليداتها منمنلة على غيرها فاذا يلزم الاعتماد على تقايد الموارنة في تاريخهم

الثاني ان اسمي سرده وملكية اشعيين في لبنان في القرن السابع اسمان تغلبا معاً على امتين مقابلاً احدهما الاخر وما من قائل ان الملكية اتوا من خارج لبنان اليه فكذلك المردة كانوا من سكانه وهم هم المواردة الثالث لما كان العالم المذكور عدد كثيرين من العلماء الذين ايدوا رايانا المذكور وذكر ثلاثة شهود او اربعة مخالفين لهذا الرأي ابنت له عظمة ثبوت شهادة من ايدوا واي المواردة وكثرة عديدهم وان شهادة المخالفين ساقطة وهو اسقط بعضهم والرابع انه ولو ثبت ان توافان قال ان المردة دخلوا لبنان وتمحصنوا به وانه ضوى اليهم اسرى وعبيد ووطنيون فلا ينتج من ذلك ان المردة غير المواردة لان هولاء كانوا منبئين في السهول والمدن المجاورة لبنان وحين ثورتهم دخلوا اليه معتصمين به وضوى اليهم اسرى وعبيد ومن كانوا لبنان ولبسوا مواردة الخامس ان ما ذكره توافان وغيره من ان المردة المجليون من لبنان اقاموا باضاليا او ارمينيا منفصلين عن باقي السكان بنظام مخصوص لهو بيئة قاطعة على ان المردة لم يكونوا من اسيا او ارمينيا ولا عسكر ارسله احد ملوك الروم والا لما كان موجب لهذا الانفصال وهذا الامتياز السادس ان توافان وغيره من مورخي الروم نصوا على عهدة صلح وقع عليها معاوية وقسطنطين اللحياني ومعاودة اخرى وقع عليها عبد الملك بن مروان ويوستيانوس الاخرم وفي كاتا العهدين شرط الخليقتان منع اغارات المردة وصد غزواتهم فلو كانوا شعباً دخل حديثاً الى لبنان او عسكراً ارسله الملك الروميان بشرط جلاء هذا العسكر او الشعب الغريب عن لبنان لا صد غزواته ثم انه بعد الصلح الاول بقي هولاء الغزاة على سطوهم كما اثبت المؤرخون المذكورون ولو كانوا عسكراً لملك الروم لجلاهم حالاً بحكم الصلح وما كانت حاجة الى ان يحتمل ملك الروم بعد الصلح الثاني على سحب اثني عشر الف منهم فاذا المردة كانوا من سكان لبنان وجواره وهولاء لا يمكن ان يكونوا في تلك الظروف الا من المواردة وزد على

ذلك ان اختلاف من يضاد هذه الحقيقة في اصل المردة وعدم اتفاقهم على قول هو مما يبين بطلان زعمهم ويؤيد ما يخالفه

ان العالم المذكور بمد اطلاعه على ردنا الذي لخصناه عاد الى البحث دون ان يرد دليلاً واحداً من ادلتنا بل زعم ان المردة هم الجراجمة نسبة الى مدينة اسمها جرجومة في جبل اللكام واستمد الى اقوال رواها البلاذري فيها ما يشبه ما ذكره توفان عن المردة وانتصر له عالم اخر باسماً رايه فاجبناهما بمقالة اثبتنا المجلة المذكورة منكرين عليهما ان ما ذكراه من فقر البلاذري مطابق لما ذكره توفان عن المردة وبيننا كثيراً من الفرق بين اقوال المؤرخين العربي والرومي وابنا ان التشابه بين اميرين ليس حجة للحكم بان الاميرين واحد

ثم قام بيننا عالم اخر بين ان ما جاء به العالمان المذكوران من الشواهد والادلة والتتايح هو اضعف من ان يرد براهين علماء الموارنة واورد ادلة راهنة على ان سكان جبل اللكام والجراجمة او اكثرهم كانوا في ذلك العصر موارنة كسكان لبنان ومن هذه الادلة ان رهبان دير القديس مارون كانوا حينئذ انصاراً للابن الكاوايكي والمجمع الخلكيدوني مستشهداً الاثر الذي وجد في المتحف البريطاني وهو رسالة هولاء الرهبان الى اليعاقبة وجواب هولاء عليها وبالآثر الاخر الدال على جدالهم مع اليعاقبة بحضور معاوية وبشهادة عالم يعتوي في القرن السابع دالة على ان بدعة الموارنة ظهرت في ايام قسطنطين الاعيانى ويراد بها انفصالهم عن باقي سكان البطريركية الانطاكية باقامتهم يوحنا مارون السرومي من جبل اللكام مطراناً على البترون ثم بطريكاً وبالجملة ان اكثر سكان جبل اللكام المسمون جراجمة كانوا موارنة كسكان لبنان

وقال هذا العالم في النتيجة (اذا صح هذا التقدير المسند الى الخائق التي بين ايدينا الا يصح ان يكون مرردة توفان وجراجمة البلاذري واصحاب بدعة

الموارنة التي ذكرها المؤلف اليعقوبي شيئاً واحداً وان تعددت الاسماء واجاب على هذا بقوله (عندنا ان هذا اقرب الى الصواب ولنا عليه ادلة شتى واورد من هذه الادلة ان يوحنا مارون ولد ونشأ بسروم احدى قرى جبل اللكام حيث الجراجمة ومن تقليد الموارنة واليهاقبة ان الامير ابراهيم ابن اخت هذا البطريك اتى الى لبنان بزصرة من الابطال وقد روى البلاذري ان امر الجراجمة كان في ايام استيلاء الروم الى بطريق انطاكية ووالها

فشهرنا نحن مقالة صادقتنا بها على راي هذا العالم مبينين ان ما ذكره توفان والبلاذري وابن العبري عن غزوات المردة وسطوهم على كل ما كان من جبل اللكام الى جبل الجليل وعن بقائهم على ذلك سنين واکراه معاوية وعبد الملك على عقد صلح مع ملوك الروم يقضي على كل متبصر ان يسلم بهذا الرأي بل لا يمكن من دون ذلك ان يفهم كيف يمكن شعب محصور بلبنان ان يسطوا او تمتد صولته حتى الى جبلي اللكام والجليل

على اننا لا نعلم ما الذي حمل هذا العالم ان يعدل عن رايه هذا الصائب الى راي لم يسبق اليه وهو ان المردة خيل ارسلهم الملك قسطنطين اللحياني الى سورية لصد فتوحات العرب واسند رايه هذا الى قول للبلاذري قال به (خرجت خيل الروم الى جبل اللكام وعلها قائد من قوادهم ثم سارت الى جبل لبنان وقد ضوى اليها جماعة كثيرة من الجراجمة واتباط وعبيد وابق واضطر عبد الملك ان يصلحهم على الف دينار في كل جمعة ووضع عبد الملك على قائد الروم سحيم بن المهاجر فقاد عليه وقتله مع اصحابه وامن من ضروا اليه) فاجبتنا نحن هذا العالم ان هذه الغزوة يراد بها احدى غزوات المردة لا كلها ولا ينتج منها ان خيل الروم هم المردة لان اسم الروم كان يطلق حينئذ على كل من كان من انصار ملوك الروم وان ابن الاثير الذي ذكر هذه الحادثة بالبلاذري

قال خرجت خيل الروم من الضواحي الى جبل اللكام اي من ضواحي انطاكية واصحاب هذه الغزوة قتلهم ~~عسكر~~ عبد الملك والمردة كانوا من ايام معاوية واستمروا بعد ذلك يحاربون

واورد العالم المذكور شهادة من السعدي قال فيها ان المردة اقيوا بعد ابادهم في بفييا ولهم حكام وقضاة مخصوصون ونظام مخصوص وكل يرى ان هذا القول هو حجة انا لانه ان كان المردة خيلاً للملك الروم فما الحاجة الى ان يكون لهم حكام على حدة ونظام مخصوص . واورد ايضاً شهادتين لابن العبري قال فيهما ان هولاء المردة يسميهم السريان جراجمة وانهم استحوذوا على كل ما هو من جبل اللكام الى جبل الجليل وان عبد الملك لما راي الحرب تحيط به من كل جهة خاصة من سرده الروم الذين بلدان عقد صلحاً مع يوستينانس الذي اخرج من المردة اثني عشر الفا وكل متبصر يرى ان هذه الاقوال تويد اينا لا راي العالم المذكور

ايكته انني مورداً حججاً لم ارها صالحة مع ذلك احيته مورداً هذين البرهانين الاول ان خيل الروم الذين ذكرهم البلاذري صرح بانهم كانوا في ايام عبد الملك والمردة الذين ذكرهم توفان كانوا بلبنان منذ ايام معاوية واكرهوه على عقد صلح مع الملك قسطنطين الاحياني قبل تسع سنين من خلافة عبد الملك فاذا لا يمكن خيل الروم هولاء ان يكونوا المردة الا ان يقال انهم كانوا قبل ان يكونوا والثاني ان البلاذري صرح بان خيل الروم وضع عليهم عبد الملك ابن المهاجر فقاد على قائدهم وقتله مع اصحابه وانما ان المردة على ما صرح توفان استمروا يفزون الى ان اكرهوا عبد الملك على صلح مع يوستينانس فاذا هولاء المردة لا يمكن ان يكونوا خيل الروم الا ان يقال انهم انبعثوا من قبورهم وعادوا الى الحرب

وسنداً الى كل ما صر تقول ان المردة هم الموارنة حقيقة وان الجراجمة كانوا
ايضاً موارنة ولما كان من يخالفوننا بذلك لم يردوا براهيننا ولم يتفقوا على اصل
للمردة حق لنا ان نبقي على رايانا ونعتقده موكدًا الى ان ترد براهيننا ونهجم
بغيرها مما لا يمكن رده

✽ عد ٨ ✽

✽ في امراء الموارنة والاثني عشر الفاً المجلدين منهم ✽
قد روى لعلامة السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥٠١) نقلاً
عن البطريك اسطفانس الدويهي الاهدني عن كتاب سرياني خط سنة ١٦٢٦
يونانية الموافقة سنة ١٣١٥ م ترجم الدويهي ما استشهد به من هذا الكتاب الى
العربية هكذا « في مبتدا دولة العرب كان يوسف ملكاً على جبيل وكسرى على
الداخلة التي من اسمه تكنت كسروان ثم في خلافة عمر ابن ابي طالب (هنا سهو
من الكاتب والصحيح عمر بن الخطاب) كان ايوب متولي قيسارية فيلبس وبيت
المقدس وبعد ايوب تخلف الياس ولما توجه هرقل الملك الى بلاد الشام كان ينجده
بجيشه ثم ان بعد هولاء تولى الملك يوسف تدبير جبيل وجبل لبنان وبعد وفاته
تخلف عليه الملك يوحنا « اه ان العرب والسريان اعنادوا غالباً ان يسموا كل متول
ملكاً ومن ذلك تسمية هولاء ملوكاً والمراد وال او امير كما كان قديماً لكل قبيلة
او فصيلة امير يدبر مهامها وله الكلمة النافذة فيها وتقاد الى امره فالظاهر من
العبارة المذكورة ان يوسف وكسرى كانا يريان جبيل وكسروان عند استفحال
دولة العرب في العربية ولما اخذوا يقالبون ملوك الروم على سورية في خلافة ابي
بكر الصديق وعمر بن الخطاب كان ايوب في خلافة عمر متولياً على قيسارية
فيلبس وهي باياس الى القدس فقتل ايوب في الحروب الاولى في فلسطين او
توفي في اثنائها فخلفه الياس في الامارة على الموارنة فساعد هرقل في الحروب

الاخيرة في خلافة عمر بن الخطاب ثم توفي فخلفه في هذه الامارة يوسف اخر
(على ظاهر العبارة) كان يلي جليل وجبل لبنان وبعد وفاته خلفه الامير يوحنا
واما يوحنا هذا فقال السعالي (في المحل المذكور) نقلاً عن الاهدني عن الكتاب
السياني المذكور ما ترجمته « وقام بعد يوسف ملك (امير) اسمه يوحنا واستحوذ
على الارض المقدسة (فلسطين) وخرج من لبنان ماضياً الى الكرمل ومعه جم
غفير واراد ان يمضي الى اورشليم فخرج عليه لصوص كثيرون من محل الرغيزيين
(لم بين السعالي ولا الاهدني من المراد بهؤلاء فيظهر انهم ينتسبون الى محل
اسمه رغيز في تلك النواحي او الكلمة كناية عن اس اشرار لان معناها اللغوي
المغضوب عليهم) واحاقوا به فوق برج الغرباء فقلوا من جماعته ثلاثة الاف
بالسيف فجمع شمل قومه ووثب على الرغيزيين وبلدهم وقتل منهم تسعة الاف
وغنم منهم مالاً وحيوانات ونساء واطفالاً وعاد الى محله وسكن في بسكتنا وتوفي
شيخاً . وروى الاهدني ان في جملة اعمال الامير يوحنا هذا انه جهز اثني عشر
الف فارس وذهب بهم الى البقاع فخلوا في قب الياس وشرعوا يزورون الجبل
الشرقي ويشنون الغارات فقطعت الطرق وسدت المسالك فكان من ذلك ضيق
شديد وصحبه طاعون وغلاء

فهذه التعميدات وما اشبهها حملت معاوية على مراسلة الملك قسطنطين الحياني
بطلب الصلح فعقد بينهما كما رايت من اقوال المؤرخين التي اثبتناها انفاً ولم ينك
هؤلاء الامراء وجماعتهم عن السطو والغزو وشن الغارات بوسوسة ملوك الروم
انفسهم املاً بان يستردوا سورية الى ولايتهم حتى اكرهوا الخليفة عبد الملك بن
مروان ان يكشف يوستينانس الباني الملقب بالاخرم طائباً اليه منع هؤلاء الجماعة
الذين سموهم لذلك مرده عن غزواتهم وصولاتهم وتمعدها ان يدفع له كل يوم
الف دينار ومملوكاً وجواداً ان جلا عسكر هؤلاء المردة عن بلادهم لايهان قوتهم

فاتقاد يوستينانس لطيشه وحادثة سنة فجلا من الموارنة اثني عشر الفاً من نخبة
شبانهم كما تبين من اقوال المؤرخين المذكورين على ان هولاء المؤرخين لم يفتصلوا
كيف توصل يوستينانس الى ابعاد هولاء الشبان عن مواطرتهم ولا باية وسيلة توصل
اليه فجلا ما ذكره بعضهم انه توصل الى ذلك بمكر ومكيدة وانه اضر مملكته بابعاد
هولاء على ان علماءنا قد تقبوا عن هذه الامور واتبأونا بما علموه من تفاصيل
هذه الاحداث فترويه عنهم

قد روى العلامة السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥٠٢) عن
البطيرك اسطفانس الدويهي الاهدي (فصل ٩ في تاريخ الموارنة) ان يوستينانس
جهز جيشاً وسيره الى سورية واشاع انه حامل على العرب ودفع الى قائد جيشه
خلاً سلطانية ورسالة مشرفة ايسلها الى امير لبنان وامره ان يقابل هذا الامير
منفرداً واذا صنعت له الفرصة قتله وعند بلوغ القائد الى البقاع مضى الى يوحنا
امير المردة بنهر قليل اخفاء لمكيدته وقابله في قب الياس ودفع اليه الرسالة والخلع
السلطانية ولم يلقه متحذراً بل قابله الامير يوحنا بالترحاب والاجلال واخذ القائد
يستشيره في محاربة العرب ويستجده عليهم ثم دعاه الى مؤاكلته وبيناهم على المائدة
اشار القائد الى جنوده فوثبوا على الامير وقتلوه ودرى بذلك عسكر المردة فسمرو
نار الحرب على القائد وجيشه فانتتلوا طويلاً وظهر جيوش القائد المستعد للقتال
على عسكر الامير الذي اندفع اليه بقتة والى ذلك اشار الاسقف جبرائيل اللحفدي
المعروف بابن القلاعي في ازجاله في كسروان حيث قال

سكن الامير في بسكتا	وارسل عساكر في بقتة
نه البقاع بفرد بكتة	وقتل رجاله مع النسوان
طلع سكن في قب الياس	وارسل عساكر مع حراس
والبقاع تحت حوافر خيله انداس	طلع خبره لاسلطان

بعث له خلمه مع قصاص تظمن واكل معهم زاد
عساكر وراهم تتجرد كبسوه في ساعة اطمشان
قتلوه وانقتل معه العسكر وانقتل كثير من الاوخاد

وجاء في تاريخ الموارة المطبوع حديثاً في بيروت (صفحة ٧٤) بأثر ما مر
من تاريخ الدويهي « ولما قتل امير المردة امروا عليهم سمعان ابن اخت المتول
وكان رجلاً شجاعاً فمسي في اثني عشر الفاً الى جهة ارمينية وهدم السد النحاسي
ومن هناك اجاز الى بلاد تراكية » فهذه الرواية غير صحيحة ولا تلحم مع ما تقدمها
وكلمة هدم السد النحاسي مأخوذة من كلام المؤرخين ان يوستيناس باعباده عسكر
المردة تقض يده السد النحاسي الذي كان للمملكة في لبنان . ولا اشك في ان
النسخة التي اعتمد عليها المعلم رشيد الشرتوني طابع الكتاب المذكور غير صحيحة
بل يظهر ان العلامة البطريك بولس مسعد قد اعتر ايضاً بهذه النسخة الغير الصحيحة
حتى قال مثل هذا القول في دره المنظوم صفحة ٩٦ والصحيح ما رواه السمعاني
(في المحل المذكور انفاً) من كلام الدويهي وهو « اما قائد جيش الملك فن بعد
هذه المقاتلة اخذ يخدم جذوة غيظ سكان لبنان ويجماله ويعتذر من سؤ صنيعه
ويقول ان قسطنطينية محفوفة بمخاطر شديدة من جرى هملات العرب والفرس
عليها وفي اقصى الحاجة الى انجادهم ومعاونتهم وانه يلزم تقديم المصلحة العامة على
المصلحة الخاصة واكثر من الوعود بان الملك يجزل المكافاة الملكية لمن يطيعه وينجده
وبعد العناء الشديد المديد حملهم على ان يقيموا سمعان ابن اخت الامير يوحنا القليل
قائداً لهم فضى قائد يوستيناس به وباثني عشر الفاً منهم الى ارمينيا (حيث قابلهم
الملك يوستيناس كما رايت في كلام توفان الذي رواه انفاً) ثم الى تراكية » فهذا
ما رواه السمعاني من كلام الدويهي وعليه الاعتماد ويظهر من ذلك ما اشرنا اليه
اولاً من ان ملوك الروم كانوا يوسوسون للمردة ليخرجوهم عن طاعة الدولة

السائدة بهم حتى صار للمردة ضلع مع هولاء الملوك ولولا ذلك لما صدقوا
 وعود قائدهم ولما اغضوا على قتل اميرهم وبتين لي انهم راعوا من جهة
 اسخاطهم لدولتهم بتمدياتهم ومن جهة اخرى انهم اذا عصوا ملوك الروم ايضاً
 لم يكن لهم طاقة على معاندة الدولتين معاً فانوا مطاوعة القائد والمسير معه على
 بقائهم في اوطانهم عرضة لتكيد الدولتين بهم وكانوا يرجون ان يوستيناس ينفع
 بخدمتهم ويميدهم الى وطنهم ولم يدروا باتفاق الدولتين على ابادهم الا بعد
 حلول المصاب بهم ولا غرو ان عيالهم لحقت بهم ويظهر ان ذلك كان سنة ٦٨٥
 او سنة ٦٨٦ اذ روى المؤرخون المذكورون ان ذلك كان للسنة الثانية ليوستيناس
 الاخرم وحينئذ امر الموارثة عليهم ابراهيم ابن اخت بطيركهم القديس يوحنا
 مارون كما سيأتي

واما ما كان للاتي عشر الفاً المجاوين بعد مضيهم الى ارمينيا ثم الى تراكية
 وان هي تراكية التي حلوا فيها فقد كان لعلمائنا في ذلك اقوال مبناهما على الحدس
 والتخمين ولم ينبئنا السمعاني بشيء من ذلك في مكتبته الشرقية التي تتداولها ايدينا
 ولما كنت في رومة سنة ١٨٦٧ بخدمة الملك الرحمة العلامة البطريرك بولس مسعد
 لحضور حفلات العيد القرني للقديسين الرسواين بطرس وبولس ولتطويب بعض
 القديسين وكننت مهتماً بتأليف كتابي الموسوم بسفر الاخبار في سفر الاحبار
 اخذت اتفقد بعض كتب مكاتبها لانتقط منها ما اضمنه كتابي المذكور فعثرت في
 مكتبة مجمع انتشار الايمان على كتاب العلامة السمعاني الموسوم بمكتبة الناموس
 الديني والمدني وهو نادر ولا يوجد الا في اوروبا في بعض المكاتب الشهيرة ولا
 اعلم ان في الشرق نسخة منه فاخذت عنه بعض تعليقات ضمنها كتابي سفر
 الاخبار ودونك خلاصتها

قال العلامة السمعاني في المجلد الرابع من المؤلف المذكور المطبوع في رومة

سنة ١٧٦٤ (فصل ٣٥ صفحة ٦٢٠) ما ملخصه « ان توفان المؤلف الرومي الذي ذكر خبر ابعادهم لم يثبتنا اين اقاموا وجل ما قاله ان يوستينيانس اذ سافر الى ارمينيا التقى هناك بمسكر المردة الذي امر باخراجه من لبنان وذلك بذلك السور النحاسي الذي كان لمملكته الا ان قسطنطين بورفيروجنات (هو قسطنطين السابع احد ملوك الروم في قسطنطينية وبرنيروجنات لقب كان ابناء هولاء الملوك الذين يولدون لهم في مدة ملكهم يلتبون به وتأويل الكلمة المولود بالبرفير اذ كانت القابلة تقبل الطفل بالبرفير او تفرش غرفة الولادة بالبرفير) بن لاون الحكيم (هو لاون السادس احد الملوك المذكورين) قال في كتابه الموسوم بتدبير الملك المطبوع في بريس (فصل ٥٠ صفحة ١٣٧) ان المردة نقلوا الى بقميلية وقام قائدهم في مدينة اضايا وذكر في كتابه الاول في اعمال المملكة (فصل ١٤) عمل بقميلية وفيه المردة الذين جلوا من لبنان يليهم قائد لهم وقد استمروا هناك من عهد يوستينيانس الى ايامنا اي ايام المؤلف الذي كان في منتصف القرن العاشر وقد اسهب هذا المؤلف الكلام فيهم في الفصل الحسن من كتابه المذكور ومما قاله ان ملك قسطنطينية كان ينصب للمردة والياً منهم في اضايا يسمى قبطاناً وان الملك اياه نصب لهم والياً اسمه استوراشيوس بلاتين واردف السمعاني كلام قسطنطين بقوله يظهر مما قيل ان المردة كانوا بقميلية في عهد الملك لاون الحكيم واخيه اسكندر وابنه قسطنطين صاحب التأليف المذكور اي في سنة ٩٥٠ الى ان قال كان الملك ينصب لهم قاضياً يسمى قاضي اضايا وفي سنة ١٠٧٤ في ايام الملك ميخائيل السابع من ملوك الروم كان احد هؤلاء القضاة اسمه ميخائيل الف كتاباً في الناموسين الديني والمدني طبع في فرانكفرت سنة ١٥٩٦ وكان في قسطنطينية مرتبة لكبير المردة من ايام الملك ميخائيل المذكور الى ان اخذت قسطنطينية من ملوك الروم سنة ١٤٥٣ ويستشهد السمعاني اصحة ذلك كتاباً لثريغوريوس كودونيوس كوروبالات الذي كان حياً

عند افتتاح العثمانيين قسطنطينية حيث ذكر كبير المردة في قسطنطينية ومما قاله انه كان يحمل عكازاً من فضة مموهاً بالذهب واستشهد ايضاً متى جاتر الراهب الكاهن في كتابه في مراتب القصر القسطنطيني حيث دوى ان الرتبة السابعة عشره بعد الملك كانت لكبير المردة واستشهد ايضاً كتاباً اخر مجهول المؤلف فإنتاج من كل ذلك ان الموارنة المجلوس استمروا في بفسيلية ولهم ممثل في قسطنطينية الى ان اخذت الدولة العثمانية قسطنطينية سنة ١٤٥٣

واما تراكية التي اقاموا فيها فالصحيح انها قسيم من كيليكيا وهي الآن ولاية اذنه ومن المعلوم ان كيليكيا مقسومة الى قسمين سهلية وجبالية فالسهلية قاعدتها اذنه وترسيس والجبالية من مدنها سلوقية كيليكيا وكان القدماء يسمونها تراكية اي الحجرية او الحجرية والآن يعبرون عنهما بكيليكيا الاولى وكيليكيا الثانية وبفسيلية متاخمة لتراكية غرباً وهذا يؤيد ما رواه السمعاني وليست تراكية تراسة اي الروملي كما فسر بعض علمائنا

واما ما كان من امرهم بعد ذلك فلم نطلع الى الان على شيء يؤكد منه قال بعضهم ان المرديت المقيمين الان في البانيا هم المردة الموارنة ارتحلوا من بفسيلية الى هناك وروى بعضهم ان بعض هولاء المرديت حقق ان عندهم تقليداً يؤيد ذلك

✽ ٩ د ٤ ✽

✽ حرب الموارنة وعسكر الملك يوستينيانس الاخرم ✽

ان يوستينيانس الاخرم لم يقصر على تدبير مملكته بطيشه وسؤ تصرفه بل اراد ان يدبر كنيسة الله كذلك فعني بعقد مجمع بقصره وهو المعروف بمجمع قصر الملك دون ان يعلم الخبر الروماني به وادخل الاساقفة في ذلك المجمع قوانين لا تسلم

بها الكنيسة الكاثوليكية وطلب الملك الى البابا ان يثبت ذلك المجمع فلم يجبه الى سؤاله وتسكع يوستيناس ببدعة المشيئة الواحدة وطلق يؤيد اصحابها ويضطهد الكاثوليكين فناصره البابا سرجيوس الخبر الروماني وناضل البطريك يوحنا مارون وشعبه الموارنة عن المعتقد الكاثوليكي بالمشيئين فبلغ من حتمى يوستيناس ان ارسل قائداً من قادة جيشه الى رومة ليشخص البابا سرجيوس الى قسطنطينية وقائداً اخر الى سورية لينكل بالموارنة ويأتي اليه بطريركهم اما ارساله الجيش الى رومة ليأتي اليه بالبابا فقد اثبتته كثير من المورخين ودونك ملخص ما رواه احدهم روهر بحر (في ك ٥٠ من تاريخه) نقلاً عن اسطاس المكتبي في كلامه على البابا سرجيوس وعن بولس الشماس (في ك ٦ من تاريخه فصل ١١) قال « ان الملك ارسل زكريا احد اعوانه ليشخص البابا الى قسطنطينية فاستشاط اهل ايطاليا والمغرب عند سماع هذا الخبر فزحف الجنود من رافنا وغيرها تبعاً الى رومية غيرة على دينهم ورئيسه وشعر زكريا بدنوهم من المدينة فزع الى البابا يسأله ان يوصد ابواب المدينة ويقم الحراس لئلا يقتلوه ولم يعبأ الجنود بتوصيد الابواب ولا بالحراس وانتهوا الى قصر لاران حيث كان البابا فاسرع زكريا صرتمداً الى مخدع البابا يسأله بدموع سخينة ان ينجيه من الموت واختبأ تحت سرير البابا صرتمشاً مضياً وشده فسكن البابا روعه واشرف على الجنود والشعب الغفير المتألب هناك فجالهم واسكن جيشانهم ولم يفكوا حتى طردوا زكريا من رومة مذعوراً مسبوياً

واما يوحنا مارون البطريك فقد انبأنا البطريك اسطفانس الدويهي ان الملك عزم اولاً ان يرسل اليه لاون قائد جيشه يأتي به مكبلاً فاحجم القائد عن المسير معتذراً بان البطريك معزز بقومه فلا يمكن الاتيان به الا بعد حرب شديدة وكان هذا القائد يجب الموارنة وقد انجدوه في حربه للعرب فسخط الملك على لاون

وطرحه في السجن واصر موديق ومرقيان ان يسيرا بجيش الى سورية واشاع انه سيرهم لقال العرب ودرى البطريك بما دبره الملك فاستدعى ابن اخته الامير ابراهيم فانه باثني عشر الف مقاتل فقتلوا البطريك من دير القديس مارون على العاصي الى سرجيل واليك ما رواه السمعاني (مج ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٤ ٥) نقلاً عن الدويهي في تاريخ الموارنة في شان هذه الحملة عليهم « لما كانت سنة ٦٩٤ بلغ جيش الملك في اواخر الربيع الى سورية فوثبوا اولاً على دير القديس مارون لانه علة هذه الحرب وقتلوا من رهبانه خمماية راهب وجعلوا الدير قاعاً صنفصفاً وتحولوا من هناك الى قنسرين والعواصم وضربوا هذين البلدين المهمين في ذلك العمل وقرض اصحاب المشيئة الواحدة سكانهما عن اخرهم وتركوا كل ما فيها غنيمة للجنود ولم يتوقفوا عن قتل احد من اصحاب الايمان القويم الى ان انتهى مريق ومرقيان الى مدينة اطرابلس وخرجوا منها فضرب جيشهما اطراب خيامه في السهول المجاورة المدينة فالتقاهم سكان الكورة واعدين اهتم يصنعون ما امر الملك به اذا اعطوهم الامان فاعطوه بطيبة خاطر بعد ان اقرروا بالاضلال (اي بدعة المشيئة الواحدة) فخل الجيش في السهل الذي بين قرية اميون وقرية الناموس الواقعتين في سفح جبل لبنان فقدم لهم سكان القرى المباورة ما يحتاجون من الزاد وغيره وسال بعض اعيان تلك البلاد مريق ومرقيان القائدين ان يعطيهم هدنة واعدين ان يحاوا قومهم في تلك المدة على الطاعة والخضوع لاولاهم فهادنوهم وارسلوا الى اصراء المردة رسائل بمحزونهم بها على العمل بمقتضى اوامر الملك واستحوذ الرعب على السكان الكاثوليكين لدنو العدو اليهم واثقوا انهم لم يعد لهم منجاة الا بالاتجاء الى الله بصلوات خاشعة ودموع هامة فاستجاب الرب صلواتهم وعزاهم بمحدث حدث لم يكن في حسابهم فقد وردت حينئذ رسائل من قسطنطينية من لاون (اولانتس) القائد المذكور

آنفًا الى البطريرك يوحنا والى سمعان امير لبنان يبشرها فيها بمخاع يوستينيانس من الملك وترقيته هو (اي لاون) الى منصته ويأمرها بضرب الجيش الذي ارسل الى سورية بمنزلة عدو للملك وذاع هذا الخبر بين الكاثوايكيين فحمدوا الله وشكروه على هذه المنة واستبشروا بنصر مابين وارتأوا انه لا يلزم انتظار العدو ليقدم اليهم فاندفقوا من اهالي الجبال اندفاق المياء المنهر ووثبوا على جيش يوستينيانس وثبة الاسود حتى ان كثيرين من الاعداء ولوا الفرار قبل وصول الوابئين اليهم وتفرقت صفوف العدو واحاق بهم الموارنة من ورائهم ومن جانبهم فأنخوا فيهم وابسلوا كثيرين منهم ووقع موريق قتيلاً فاخذ اهل الكورة جثته ودفنوها في اميون» وقال السمعاني بعد ذلك ان الدويهي استكمل خبر انتصار الموارنة مستشهداً بكتاب تعليم اليعاقبة واشعار البطريرك يوسف الماقوري واليك ما اشار السمعاني اليه من مقال الدويهي «وهكذا اخبر اليعاقبة في كتاب معتقدهم» ولما انتهى الملكية الى قرية اسمها اميون تميز مويريق (باتصغير تحقيراً) وابن اخته بريهم من الملكية ولحقوا سمرجيل وحما اهلها من اداء الجزية التي فرضها الملكية على من لا يتبع مذهبهم ووافق مارون كل السريان الذين في جبل لبنان ونجوا مما كانوا يخشون» والى ذلك اشار الخوري يوسف الماقوري (الذي صار بطريركاً على الموارنة بعد ذلك) في زجلياته التي اخبر بها عن قدوم عسكر الروم الى لبنان في الميمر الذي الفه سنة ١٦٢٠

خرجوا من اسطنبول متفقين	مع جوقة اعداء شياطين
والسيوف على الموارنة مسلواين	خائفوا لمارون وطاعوا الملكية
فيهم من طاع ومن خالف	والسيف فوق راسه مواف
وابعض من الفزع تخلف	وطاعوا الى الملكية
داموا في الشر مصطدمين	حتى نزل الامير مسعود والمقدمين

والمساكر في اميون مجنمين والقتل وقع في الملكية
 اتقلوا القواد في اميون وانتصر جماعة مارون
 والروم على موريق بانون كنيسة لليوم مسمية
 هذا ما اشار السمعاني الى ان الدويهي استكمل به خبر انتصار الموارنة
 واردفه بقوله ان الدويهي قال في مريق ومريقان عند تفنيده مزاعم سعيد بن
 بطريق بطريك الاسكندرية « من البين ان مريق قتل في الحرب التي ذكرناها
 ودفنه الملكية في قرية اميون واقاموا على مدفنه كنيسة وجعلوا عيداً لذكره في
 اليوم ٢٦ من تموز وهو من الاعياد المشهورة عندهم واما مريقان فجرح في وقعة
 الحرب فحمل الى قرية شويته في عكار ومات بعد قليل من الزمان واقام الملكية له
 هيكلًا وعيدًا » وقد ورد مثل ذلك في مقالة مرهيج بن نيرون الباني في اصل
 الموارنة

انتهى كلام السمعاني وقد آرنا ان نقل عنه كلام الدويهي مترجماً عن اللاتينية
 من ان نقل كلام الدويهي العربي اولاً لان نقل العلامة السمعاني له يزيد قوة
 وثباتاً ولا سيما ان السمعاني قد انتقد الدويهي في كل ما كان من كلامه محلاً للانتقد
 كما سترى وشرح كل ما كان مبهماً او غامضاً فيه ثانياً لان نسخ تاريخ الدويهي
 التي اعتمد عليها السمعاني في رومة اصح من النسخ العربية التي تتداولها ايدينا
 في سورية وقد رايت انفاً ما ابناه من الخطأ في النسخة التي اعتمد عليها العلامة
 البطريرك بولس مسعد وطابع كتاب تاريخ الدويهي ثالثاً لاننا نظن السمعاني لم
 يرو ما رواه عن الدويهي الا معارضاً بنسخ كتابه العربية التي كانت في رومة
 وبترجمته الى اللاتينية وقد انبأنا (مج ١ من مكتبة الشرقية صفحة ٥٠٤) ان العلامة
 الاخر الاب بطرس مبارك اليسوعي الماروني قد ترجم هذا الكتاب من العربية
 الى اللاتينية وهذا ايضاً مما يزيد شهادة الدويهي ثبوتاً وثقة بصدقها

واقول ان ارسال يوستيناس عساكره في الدفعتين لجلاء عسكر المردة من لبنان والقبض على بطريركهم لا بد ان كان بقوة المعاهدة المنعقدة بينه وبين عبد الملك بن مروان والا فكيف تمكن دخول عساكر ملك الروم الى سورية وهي بحوزة الخلفاء وان اوهت سلطتهم عليها غزوات المردة وعليه فارسل هذه العساكر الى سورية هو مما يؤيد المعاهدة المذكورة التي لا ينكرها المورخون المسلمون

✽ عدد ١٠ ✽

✽ في الانقسام بين الموارنة والملكية ✽

يسهد الله ويعلم كل من عاشرني واطلع على دختاتي اني والحمد لله منزه عن كل تعصب طائفي اغبر الحق وهائم بالالفة والوفاق بين كل اصحاب المذاهب الدينية ايها كان كلفاً بالراحة العامة والتضافر على كل ما به الخير العام والخاص والنجاح والقوة التي لا تقوم الا بالاتحاد والخضوع للسلطة الشرعية وعليه فما ذكرته في الفصل السابق وما ساذكره الان لا يحمني عليه وأيم الله الا بيان الحق كما يحصص لي ويتجلى عليّ ولا اشاء ان انتقض مله او احداً ايّاً كان بل ان اكشف عن وجه الحقيقة التاريخية كما اراها في كتب القدماء الموثوق بصدقهم

روى الدويهي في تاريخه ان بدء الانقسام بين الموارنة والملكية انما كان بسبب التحامل على يوحنا مارون وبسبب الوافاة التي كانت بين جيش الروم واهل الكورة وبين مجاورهم الموارنة فالذين تبعوا جيش الروم وانقادوا لرايهم سموا ملكية نسبة الى الملك الذي كان من اهل البدعة والذين ثبتوا على الايمان وطاعة البطريرك يوحنا مارون استمر وايسمون موارنة وقد اورد السمعاني (مجلد ١ من المكبة الشرقية صفحة ٥٠٧) قول الدويهي كما ذكرناه وقول ابن نيرون الباني الماروني الا ان بعضهم راي ان تسمية الملكية اقدم من ذلك العصر وقال انهم

ينتسبون الى الملك مرقيان والمجمع الرابع (الخلايدوني) واول من قالوا بهذا القول من السريان على ما اعلم انما هو ديونيسيوس بن صليبا سنة ١١٦٠ (في الفصل الاول من شرحه وتبة القداس) وهالك قوله «انما سموا ملكية لانهم تركوا ايمان الاباء واتبعوا راي الملك مرقيان» وقال مثل ذلك من اليونان نيكوفور كالستس الذي كان مشهوراً في سنة ١٣٣٠ (في تاريخه ك ١٨ فصل ٥٢) وهالك قوله «ظهر في سورية شقاق عظيم في ايام يعقوب (البردي) هذا الذي كان يدعو الى بدعة الطبيعة الواحدة فن تشبثوا بالايمان القويم سموا ملكية لانهم اتبعوا المجمع الرابع المقدس والملك لان ملكو عند السريان تاولوا ملك» ولا اذكر احداً من المؤرخين اليونان والعرب واللاتينيين الذين كانوا بعد نيكوفور وابن صليبا كساويرس اسقف الاشمونيين وابن الراهب مؤلف التاريخ الشرقي وجيوردجيوس ابن العميد الذين اتبع بارونيوس رايهم لانهم انتحلوا كلام ابن صليبا ونيكوفور ولا احفل بذكر سعيد بن البطريق البطريرك الاسكندري وان كتب في القرن العاشر وذكر الملكية متواتراً (مج ٢ صفحة ١٦ و ٢٣ و ٧٩ و ٩٥ و ١٠٠ و ١٠٣) ولم يذكر اصل هذا الاسم بل يتين من كلامه ان كان مستعملاً قبل مرقيان الملك مراداً به اصحاب الايمان القويم لانه قال (صفحة ١٠٠) «وكان مرقيان الملك حسن الامانة وكان يدين ويقا تل عن امانة الملكية» ولا اعبا ايضاً بقول توما الحاراني اسقف كفرطاب من اصحاب بدعة المشيئة الواحدة الذي كانت محاورة بينه وبين يوحنا بطريرك الملكية سنة ١٠٨٩ في ان في المسيح مشيئة واحدة اثبت فيها ان الملكية سموا بهذا الاسم لانهم اتبعوا بارشاد القديس مكسيمس المعترف الملوك مرقيان واخاه وموريق سلفاء هرقل واليك قوله (عن كتابه الذي هو الرابع عشر من كتب الحاقلي في المكتبة الوايكانية) «ان مكسيمس مضى الى الملكيين مرقيان واخيه والى موريق الذي خلفهما في قسطنطينية فرخصوا

له ان ينذر بمشيئتي المسيح في سورية فمن امتثلوا او امرهم سموا ملكية « قلت لا اعبأ بهذا القول لانه لا شاهد له بل هو مخالف لجميع آثار التاريخ الكنسي التي نصت على ان الملك صرقيان كان قبل موريق الملك بنتة سنة وثيف وانه لم يكن له اخ يشاركه في الملك ولم يكن في ايامه ولا في ايام موريق الملك بحث في مشيئتي المسيح بل نشأ هذا المبحث في ايام الملك هرقل خليفة فوقا وموريق نحو سنة ٦٢٨

والذي اراه راجحاً ان اسمي الملكية والمردة كانا في عصر واحد واحدهما يخالف الاخر ولم يكونا يدلان في اول استعمالهما على دين او طقس كما ارتأى بعض العلماء الموارنة بل على غرض او حزب مدني وان دلاً على ذلك بعداً اعني لما افترق كل فريق منهما عن الاخر بطقسه ورعاته ومذهبه لان من عصوا الملك بسورية سموا صرودة اي عصاة ومن استمروا على طاعة الملك سموا ملكية وانما كان هذا في ايام الملك قسطنطين الاحياني لما استحوذ المردة على كل ما كان من الجبل الاسود (المعروف بالجبل الاقرع) الى مدينة اورشليم المقدسة كما اثبت توفان وشدرانس ويؤيد ذلك صمت جميع الاباء والمؤرخين القدماء عن ذكر الملكية فقلب ما شئت من كتب الاباء في القرون الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع فلا تجد ذكراً للملكية ودقيق في مطالعة توارينج بروكوب وافاغريوس وتوفان وشدرانس وزوناراس وتوافيلكنس فلا تلتى اثراً لهذا الاسم في كتبهم بل لا تجد ذكراً للملكية في كتب اولي البدع ايضاً كبطرس القصار وفيلوكسينس المنبجي وساويرس وبطرس الالئغ ويوحنا فيلوبون والداراوي وغيرهم بل تراهم سموا الكاثوايكيين متواتراً خلكيدونيين او مجمعيين ولم يسموهم قط ملكيين وبكس ذلك ترى توفان وشدرانس صرحوا صرات بذكر المردة ولم يصموهم ببدعة وهذا دليل واضح على ان اسمهم هذا دال

على غرض او حزب مدني لا على زيفان عن الدين ولذلك سمي اعداء المردة ملكيين بلغة موطينهم ولو اشرت هذه التسمية ببداية اكان من كتبوا تاريخ تلك الايام والبدع التي نشأت فيها بسورية وصفوا احدى الفرقتين بارايبكية ثم ان هذين الاسمين سريانيان واول استعملهما كان في سورية ويؤيد ذلك اللفظ نفسه واقامة المردة والملكية قديماً والى الان في سورية وقد ندر او اتقطع وجود الامتين في غيرها ولهذا لا يعبأ بقول باجيوس (في تاريخ سنة ٦٢٢) ان اسم ملكية وضع في ايام صرقيان في مصر اذ لم تر مؤرخاً قبل سعيد بن بطريق عزا اسم ملكية الى صرقيان ولو وضع هذا الاسم في مصر لما سمي الكاثوليكيون ملكية وهو لفظ سرياني او عربي بل باسليين عن لفظ ملك في اليونانية او بلفظ آخر من لغة المصريين والاصريين كالثور فالمصريون لم يستعملوا اللغة السريانية قط ولم يتكلموا بالعربية الا بعد صرقيان والمجمع الخلكيدوني بقرنين لما فتح عمر بن الخطاب مصر واما تسمية العلماء الحداء الروم المصريين ملكية فلا يحفل بها لان اسم اليعاقبة لاصراء في انه منسوب الى رجل سرياني ووضع في سورية وقد سمي به بعد ذلك اصحاب بدعة الطبيعة الواحدة في مضر فان هذه الاسماء عرضة لتغير مدلولها يؤيد ذلك اسم الملكية فقد كان اولاً دالاً على السريان الكاثوليكين والان هو عبارة عن الروم المتحدين وغير المتحدين وعن المصريين اصحاب الطقس اليوناني واللبنانيون كانوا يسمون في القرن السابع مردة والان يسمون موارنة نسبة الى القديس مارون الذي بني له الدير على العاصي في جانب اباميا وفيه نشأ يوحنا بطريركهم وقد سمي لذلك مارون « انتهى كلام السماي مترجماً بحروفه ولا يتسني لي ان ازيدة بياناً فعمدة برهان هذا العلامة ان اسمي مردة وملكية يقابل احدهما الاخر وقد كانا في عصر واحد ونشأ في بلاد واحدة وهي سورية وجل الخلاف في نسبة الملكية الى صرقيان الملك وهذه

النسبة غير ثابتة اذ لا تجد لها ذكراً في كتاب من جميع كتب العلماء والمؤرخين من القرن الرابع الى القرن العاشر كاثوليكيين كانوا او هرطقة واول من ذكرها انما هو رجل هائم ان يشرف امته ومعروف بطيشه وكثرة اغلاطه وهو سعيد ابن البطريق البطريرك الاسكندري الملكي ومن اخص قواعد الانتقاد ان الاحداث الهامة اذا لم يذكرها مؤرخو القرن الذي حدثت فيه فلا يركن الى صحتها ومن قالوا كسعيد بن البطريق بصحة هذه النسبة الى صرقيان الملك يحمل كلامهم على انتقاله عنه او على المنابعة له على زعمه ولا تصالح شهادتهم لتاخرها قروناً عن هذه التسمية ولم يعزوها الى مؤرخ معاصر فلا اساس راهن لها وعليه فهي ساقطة ولو كثر عدد القايلين بها من المتأخرين ولو صدقت هذه التسمية على من اتبعوا المجمع الحلكيدوني والملك صرقيان لكان رهبان القديس مارون احق بها من سواهم اذ ناضلوا عن هذا المجمع وسفك كثيرون منهم دمهم في الدفاع عنه كما روى كثيرون من القدماء والمتأخرين وكما تشهد الكنيسة الرومانية بتعيينها لهم ولا نرى احداً دعاهم ملكية والحق اقول اني لم اجد انا ايضاً في مطالعاتي (وان لم تقس على شيء من مطالعات العلامة السمعاني) قولاً واحداً من اقوال العلماء قبل القرن العاشر يثبت هذه النسبة واحسبني سعيداً ان ظفرت بشيء من ذلك لا غير رايي هذا

